الزمان – السنة الثالثة عشرة العدد 3625 الاثنين 7 من رجب 1431 هـ 21 من حزيران (يونيو) 2010م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/13. Issue 3625 Monday 21/6/2010

ملف

لقد وعت الروائية عالية ممدوح المشكلة منذ بدايات نتاجاتها ولعل ردات الفعل على هذا الوعي قد تمثلت في عوالمها الروائية، ولان هذه النتاجات قد حققت قدرا كبيرا من التميز في التصريح او التلميح الى اغلب القضايا التي تمس واقع المرأة والانسان بالنهاية.
وتفاعلت مع واقعها وبالمقابل كان على الناقدة ان تؤشر كل ما يمكن ان يضيف الى رصيدها كمبدعة وان تقيم ابداعها خاصة مع الادوار الصحفية التي اخذت تطرح مصطلحات الابداع وتقدمها للتداول الادبي والثقافي

صدى صوت عالية ممدوح في النقد

دعوة لدراسة تفاعل المرأة مع الوقت

د. كرنفال ايوب

بغداد

لقد شكل الادب ساحة حرة للتعبير والتشكيل والمسألة هنا تتعلق بالعنصر الاكثر فاعلية في الطرح وقبلها التفاعل اذ لاتخفى هيمنة الاعمال الادبية الرجالية مع اننا لسنا مع جنسنة الادب الا ان الواقع يفرض مثل هذه المسميات. اذ ان حقيقة ان ادوار المبدع (الرجل) اكثر غزارة وفاعلية من ادوار المرأة بقيت قائمة ولمدة طويلة، ويبدو ان المرأة قد وعت وبالتدريج هذا النقص فسعت الى ان تؤسس لادوارها في الابداع فأخذ صوتها يعلو بشكل لافت وفي مختلف مجالات الابداع والذي يعنينا هو الدور الادبي الذي تصدت له المرأة لتبرز اشتغالها في مناخ من المؤثرات الصعبة، فأظهرت تعاملها مع قضايا حققت انجازات في اوانها المطلوب احالت دلالاتها الى حقيقة الحياة، ولعل الادب الروائي اكثر الاجناس الادبية التي تعبر عن الحياةن بشكلها المعروف على الرغم من خاصية التخييل التي تؤسسها،لذا فان المرأة المبدعة ولجت عالم الرواية وهي تدرك انه مساحة واسعة لحريتها في التعبير قد لاتتحق لها في العالم الحقيقي، ولكي تستطلع انظار العالم لها وتضع علامات ازاء مسببات الصراعات والمشاكل التي تعرض لها اخذت تنتج قناعات جديدة في حدود فهمها لواقعها ودورها فيه.

الا انه من المفترض ان يكون هناك دور اخر للمرأة يسهم في تدعيم ابداعاتها وتطبيق رؤاها بشكل اكثر تميزا بل يمكن القول انه دور مكمل للابداع خاصة مع ظرف وواقع المرأة الخاص، وهو جهود المرأة النقدية في الاشارة الى ابداعات مثيلاتها خاصة اذا كانت هناك نتاجات يعتد بها او تكون متوافقة مع انية المشاكل وحقيقيتها وواقعيتها لان الابداع عموما لا يصل الى مرحلة مقبولة دون ابداع النقد وهنا تتجلى حقيقة ان الابداع النسوي يكتنفه دوران الاول يتعلق بالابداع نفسه والثاني يتعلق بنقده والاشارة اليه وفي اغلب الاحيان الرفع من شأنه أي ان هناك علاقة تنكشف بين النص وبين درجة تقييمه فما ان يطرح نتاجا ما حتى يسارع النقد الى كشف صياغاته وتحديد رؤاه في محاولة تؤسس لتنظيراته الخاصة تعلق بفلسفة المبدع عموما وطريقة تفاعله مع بيئته، خاصة مع الظهور المتميز لنماذج مسؤولة، وفي حدود حديثنا عن النقد النسوي لابد من الاشارة الى ان الادوار التي تنازعتها المرأة الاديبة والمرأة الناقدة وهما تتناولان منطوق النفس الانسانية وحقائق الحياة الممثلة وصلتها بالفكر والثقافة والايديولوجيا غير متكاملة كما هو مفترض لان المرأة المبدعة الاديبة او الكاتبة لم تجد انصافا في الاشارة الى ابداعها خاصة حين تكون تلك الادوار محملة بدلالات تحيل الى المعاني الحقيقية وجدية المواقف الحياتية، ولعل الروائية عالية ممدوح قد حققت جزءا كبيرا من هذا في نتاجاتها حين انبرت للصراعات والصدامات التي عكست مفهوم الحياة الشرقية ومنحتها حمولات دلالية عبرت عن موقفها من الحياة والواقع الا اننا في جانب اخر نجد المرأة الناقدة وقد اتخذت موقفها بعيدا عن ابداع نظيرتها الا في بعض الحالات ..وتبدو هذه الحالة في حالة اطراد اذ كلما زادت كشوفات الروائية الفنا صور الغبن الذي تتعرض له الكاتبة من الناقدة اذ لاتخفى حاجة المرأة المبدعة الى النصرة لما تؤسس له ويمكن القول انه على الرغم من ان عالية ممدوح شكلت نموذجا مبدعا اتخذ من عالم الرواية مساحة رحيبة لطرح القضايا الا ان الناقدة لم تتصدت لغنى تلك العوالم اذ كان من الممكن ان تجد فيها غنى لتأويلاتها، ولابد ان نتوقف عند هذا الموقف من ادب المرأة وبيان اسبابه اذ ان المسألة تخص الروائية بالاساس أي المبدعة صاحبة الفكرة والرؤية التي لابد ان تكون قد امتلكت وعيا حادا وشدة ادراك للضرورات النفسية والاجتماعية التي تنشدها المرأة مع وضعها الخاص والتي مازال كثير منها احلاما صعبة التحقق. الا انه من غير المفهوم ولا المقبول

لقد وعت الروائية عالية ممدوح المشكلة منذ بدايات نتاجاتها ولعل ردات الفعل على هذا الوعي قد تمثلت بقوة في عوالمها الروائية، ولان هذه النتاجات قد حققت قدرا كبيرا من التميز في التصريح او التلميح الى اغلب القضايا التي تمس واقع المرأة والانسان بالنهاية.
وتفاعلت مع واقعها وبالمقابل كان على الناقدة ان تؤشر كل ما يمكن ان يضيف الى رصيدها كمبدعة وان تقيم ابداعها خاصة مع الادوار الصحفية التي اخذت تطرح مصطلحات الابداع وتقدمها للتداول الادبي والثقافي فعالية ممدوح دفعتها حقيقة العيش الانساني الى موضع المواجهة مما جعلها من اولى الروائيات العربيات التي تتصدى لموضوعة الجنس مثلا والافت ان الاهتمام بهذا الموضوع اخذ يسير باطراد واسع ربما لانه يتعلق بالحمولات الدلالية التي يحملها الجنس كفكرة وكموضوعة تحيلان دائما الى الواقع وتظهران الحقيقة الانسانية بكل تصويراتها الي تحيل بدورها الى صلب ازمة المجتمعات فتصدي الناقدة لتلك الظاهرة عند عالية ممدوح مقصود لحساسية المشكلة التي يعالجها اولا ولان من تبناها ووظفها امرأة ولعل في هذا ما يضفي خصوصية معينة ولسنا هنا بصدد الحديث عن ميزات كتابات وموضوعات عالية ممدوح بقدر الاهتمام بالاشارة الى تقصير الناقدة في طرح الكشوفات عن خصوصية هذا الابداع خاصة مع طريقة التعامل مع القضايا المصيرية التي تنبع اساسا من القانون العاطفي الذي تتبناه عالية ممدوح كما انها اتاحت مجالا واسعا للناقدة من اجل التعامل مع القضايا التي تؤرق فكر المرأة عموما، واسهمت- في تصورنا – في وضع اللبنات الاساسية في فكر المرأة المعاصر، وليس هذا فحسب بل قدمت تعاملا مميزا مع الواقع من خلال جرأة وعلو صوتها لكن من المؤسف ان لانجد لهذا كله صدى عند نقد المرأة بل ان اغلب الكشوفات التي قدمت ادب عالية ممدوح كانت من الرجل الناقد الا في حالات نادرة لاتكاد تذكر، ويبدو ان فكرة نظرية ديفز هاته التي تذهب الى ان الكتابة السردية النسائية موسومة بالذاتية دائما قد تسللت الى هاجس الناقدة والا يبدو من غير المفهوم التجاهل المتواصل لادب نظيرتها ونحن اذ نشير الى ادب عالية ممدوح لانها نموذج متقدم عن كثير سواها ولم تكن كتاباتها بأي حال من الاحوال سلوكا فرديا بل ان كتاباتها اسهمت في اعادة انتاج الواقع بشكل جعل من العمل الادبي اداة متعددة الادوار وموجها الى الحياة بشكل مطلق من خلال استحضار كل ما هو محظور وجعله مادة معلنة..

وهنا الا يحق لنا ان نتساءل عن سبب تجاهل النقد النسوي لمثل هذه الاثار؟ ونتساءل اكثر عن دور الناقدة العراقية وهي ترى امامها نموذجا من المبدعات جديراً بالاحتفاء مثل عالية ممدوح.. ونتساءل ايضا ان هذه الاعمال المتميزة الا يتطلب وجودها ان تنبري لها نقود متميزة يحسب لصالح رصيد المرأة الابداعي؟.

ان هذه المسألة تحتاج لكثير من الايمان والوعي..ايمان المرأة بقدرة نظيرتها من جهة ووعيها الخاص بضرورة ما تطرحه الكاتبة وهو موضوع يخضع لاعتبارات خاصة تتعلق بحقيقة الطروحات اولا ومدى مواءمتها للواقع ثانيا وعالية ممدوح سعت الى تاسيس خطاب سردي نسوي متميز بحكم التداول والمعاصرة والحاجة قام على تصعيد الحس الزماني والمكاني والحدثي مكننا من ان نميز رؤية جديدة بحس نسوي. لكن الجهود النقدية النسوية لم تسع الى طرح تصوراتها عن ذلك الا في حالات قليلة خاصة على الصعيد العراقي ليس مع عالية ممدوح فحسب وانما مع اغلب اديباتنا اللواتي لم يأخذن حقهن في تاسيس اصول رؤيتهن من وجهة نظر الناقدة.

انها دعوة للناقدات بشكل خاص بأن ينظرن بمسؤولية فعلية وحقيقية الى الابداع النسوي ليس لغرض فصله عن مستوى الابداع العام انما لمحاولة لفت الانظار لتفاعل المرأة مع واقعها، ومن الضروري ان نسجل بأن ابداع عالية ممدوح بوصفها اديبة وكاتبة ليس بحا جة الى من يظهره وانما هي حاجتنا نحن الى تعميق رؤيتنا عن الحياة من اجل صحة التعامل مع قضاياها، فضلا عن حاجتنا الى فلسفة مميزة تخص قوانين الحياة وهو ما ترجمته عالية ممدوح في اغلب نتاجاتها حين اسست لفلسفة استثنائية طرحت من خلالها مفهومها الخاص عن الصراعات والصدامات الكونية خاصة في الواقع العراقي..

ونأمل ان يجتهد النقد النسوي في نصرة الابداعات النسوية وكما ذكرنا مرارا ليس من اجل فصل ادب المرأة عن الادب العام او ان نجعل من الادب النسائي مقابلا للادب الرجالي وانما هي محاولة لتحرير واقع المرأة من التعقيد فضلا عن خلق نظرة صحيحة عن الواقع فدور عالية ممدوح في ادبها واضح ومعروف – كما هي ادوار غيرها من الكاتبات- بقي ان نؤسس لادوار واضحة ومجدية في النقد النسائي لادب المرأة وجعله شكلا مميزا من الطرح والكشوفات.

رسالة ماجستير تناقش العالم الروائي لعالية ممدوح

معالجة تحليلية لموضوعات الحرب والغربة والآخر

عرض: رقية أياد احمد

بغداد

نوقشت مؤخراً في كلية الاداب جامعة بغداد رسالة ماجستير بعنوان العالم الروائي لعالية ممدوح للباحثة هديل عبد الرزاق احمد.

قسم البحث على خمسة فصول، مسبوقة بتمهيد دار على محاور ثلاثة، تناول الأول بعضاً من إشكالية مصطلح الأدب النسوي، وموقع عالية ممدوح منه، إذ ولد هذا المفهوم أو المصطلح من رحم الثقافة الغربية، وانتقل إلى الساحة العربية ليشيع فيها، إلاّ إنه واجه رفضاً من قبل العديد من الكاتبات، وأثار إشكالية كبيرة في الأوساط الأدبية – النقدية، إذ ترى عالية ممدوح أن هذه التسمية (تهتم بمشروع النساء ولوحدهن كأنهن يعشن في جزيرة، أو كأنّ الرجل هو العدو)، مضيفةً القول (الأمر الذي يعنيني حقاً؛ جنس الكتابة وليس جنس المؤلف أو المؤلفة،... المهم هو الكتاب أن يكون جيداً، استفزازياً وحراً بصورة لا رجعة فيها، فمشاق وقدسية الحرية أشد كلفة من اللا حرية). على الرغم من أن بعض الكاتبات يجدن في هذا المصطلح وثيقة اعتراف من الرجل وتأكيد وجود هوية لأدب المرأة.

لم تنصرف الكاتبة إلى التعبير عن قضاياها الذاتية على حساب القضايا الإنسانية العامة، فهمومها ومعاناتها وما تصبو إليه من أفكار ليست بمعزل عن مجتمعها وواقعها، بل كانت من صلبه وصميمه. فقد عبرت الكاتبة العربية –ومثلها عالية ممدوح – في أدبها عن قضايا عدة تشترك فيها مع الرجل، كقضايا المجتمع – بصورة عامة – وقضايا الحروب والنضال السياسي، وأزمة الإنسان والوجود، وغيرها. فالقضايا العامة والمطلقة بالنسبة للإنسان تتداخل مع هم الجنسين معاً، وليست حكراً على جنس دون غيره. فالرواية النسوية إذن هي من زاوية ما انعكاس للرواية التي يكتبها الرجل، وامتداد لها.

وتناول المحور الثاني من التمهيد أدب الغربة وموقع عالية ممدوح منه، إذ يتميز أدب الغربة باشتغال غالبيته على الموضوع السياسي كالقمع، والسجن، والخوف، والدكتاتور، والعنف، والحرب، ووضع العراقيين اللاجئين... إلخ، ومحاولة الروائي التقاط التجارب المؤلمة التي عاشها أو شهدها في وطنه، فيستحضر وطنه من خلال قص الذكريات لا سيّما تلك الخاصة بطفولة الراوي، الذي هو الكاتب نفسه أحياناً، محاولاً استعادة مشهدية الزمان والمكان المفقودين، من أجل خلق موضوع يربطه بوطنه الغائب، وكما نجده واضحاً في رواية (حبات النفتالين) التي تسرد من خلال رؤية الطفلة (هدى). وفي الفصل الأول تناولت الرسالة المضمون السياسي في روايات الكاتبة، تقدمه مدخل بسيط للرواية التي تدور حول المحور أو المضمون السياسي، وقسمت الفصل على مبحثين، تناول الأول النضال السياسي والتحولات السياسية في روايات الكاتبة، أما الثاني، فكان عن القمع السياسي في رواياتها. وتناول الفصل الثاني موضوعة الحرب في رواياتها يتقدمه في البدء مدخل حول خصوصية هذه الموضوعة في الرواية بشكل عام، وقسم الفصل على مبحثين، تناول الأول الحرب وآثارها في الأفراد والمجتمعات في عالم روايات الكاتبة، أما الثاني فكان عن الحرب وآثارها في المغتربين.

أما الفصل الثالث فهو عن الغربة والآخر في روايات عالية ممدوح، قدمت له بمدخل تناول إشكالية الغربة، وأسبابها، وامتدادات تأثيرها في الأفراد والمجتمعات، والآخر بوصفه إشكالية أيضاً، وقسمت الفصل على مبحثين، الأول عنوانه الغربة، تناولت فيه توظيف الكاتبة لهذه الموضوعة وخصوصية توظيفها لها، وفي الثاني توظيف موضوعة الآخر في رواياتها، وخصوصية هذا التوظيف. فضلاً عن اهتمامها بمعالجة موضوعة الغربة، مركزة رؤاها على رصد أدق التفاصيل النفسية والسلوكية للمغترب، فعبرت عن التمزقات في نسيج شخصيته، وعن إحساسه بضياع الذات والانتماء، ومشكلة اللغة، وفقدان الإحساس بالهوية، ومحاولات استعادتها أو التعبير عنها بأشكال مختلفة، دون أن تغفل التركيز على أثر الغربة في الباقين في الوطن من أهل المغترب وأقاربه وأصدقائه، والتي قد تتحول إلى مشاعر شبه عدائية، دون اهمال التركيز على (الآخر الغربي)، الذي سجل حضوراً واضحاً في رواياتها فعبرت في ذلك عن واقع متطور في الأدب الروائي حين لم تجعل العلاقة معه مبنية على العداء والتصادم فقط كما هو مألوف في عموم الأدب، بل وردت في الروايات علاقات بنيت على الصداقة والود المتكامل معه. وتناول الفصل الرابع موضوعة الجنس في رواياتها، تقدّمه مدخل بسيط بشأن هذه الموضوعة وتوظيفها في الأدب، والرواية تحديداً، وقسم الفصل على مبحثين، حمل الأول عنوان (المرأة والجنس)، والثاني (الرجل والجنس)، وبينت خصوصية توظيف الكاتبة لهذه الموضوعة في رواياتها.

أما الفصل الخامس فتناول خصوصية البناء الفني في روايات الكاتبة، تقدمه مدخل، تلته ثلاثة مباحث، يدور الأول حول محور الحدث، والسرد والرؤى، والثاني حول محوري الزمان والمكان، أما الثالث فتناول الشخصيات وطرق تقديمها في العالم الروائي للكاتبة.

إذ كشفت الدراسة عن اعتماد الكاتبة على الأنساق (المتداخل، والتضمين، والحلقي) في بناء أحداث رواياتها، وهيمن نسق السرد المتداخل على مجمل بناء الأحداث، وهو يعد إحدى بوادر المغادرة الواعية لدى الكتاب لأسلوب البناء التقليدي – التتابعي – للأحداث في الروايات، من خلال تقديم الأحداث وسردها من دون وجود تتابع زمني، إذ وفقاً لهذا تتقاطع الأحداث وتتداخل في عالم روايات الكاتبة دونما ضوابط منطقية، وتقدم من دون مراعاة تواليها في الزمان، إنما بالكيفية التي وقعت فيها، ولما سبق ولاهتمامها برصد دواخل الشخصية وأفكارها، وجعل القارئ في ذهن الشخصية مباشرة، فإن رواياتها تعد (روايات تيار الوعي consciousness Stream of)، لأنّ الأحداث ترد من خلال وعي الشخصيات ما يؤدي إلى حدوث خلخلة في تسلسل بنية الحدث في الزمن.

ويهيمن نمط السرد الذاتي على مجمل عالم روايات الكاتبة إذ تعمد إلى استخدام تقنية تعدد الأصوات في سرد أحداث عالمها الروائي، فتكشف عن منحى بوليفوني واضح، وعن تجنب للتدخل المباشر في وعي الشخصيات، وإتاحة الحرية الكاملة لها للتعبير عن وعيها وأفكارها.

أما بناء الزمن فقد اعتمد في ترتيبه على تقنية الاسترجاع، التي هيمنت على مساحة واسعة من عالم روايات الكاتبة، ووردت بصورة عفوية، لاعتماد الكاتبة على تقنية تيار الوعي التي تسمح للراوي بالتنقل بين الأزمنة بسهولة. ولاهتمام الكاتبة بالكشف عن الجانب النفسي والشعوري للشخصيات تبنت تقنيتي (المشهد) و(الوقفة) بشكل رئيس معبرة من خلالها عن أفكار شخصياتها ووعيها، ما يؤدي إلى بطء حركة السرد في الزمن، فيغلب الإيقاع البطيء على معظم الروايات.

وورد المكان في روايات الكاتبة محملاً بدلالات ترتبط بوشائج قوية الصلة بالشخصيات ونفسياتها. وركزت الكاتبة على أماكن حقيقية لها ما يقابلها في الواقع فجعلت منها فضاءً لمتخيلها السردي، دون وجود يذكر لأماكن متخيلة، وهو ما أدى إلى تحقيق عنصر الإيهام بواقعية ما يتم فيها من أحداث، على الرغم من اعتماد الكاتبة على (الإجمال) في وصف الأماكن، أي ذكر بعض أجزاء الموصوف.

أما الشخصيات وطرائق تقديمها في عالمها الروائي، فلاحظنا حرص الراوي أياً كان موقعه في الرواية على رسم الملامح الداخلية للشخصيات لكون الروايات تعتمد على تقنية تيار الوعي التي تميل إلى دراسة الشخصية وتحليلها أكثر من ميلها إلى رسم ملامحها الخارجية، ولكننا لم نعدم تمتع جميع الشخصيات بأبعاد خارجية كالاسم والوظيفة. وتم تقديم الشخصيات في معظم الروايات من خلال الشخصيات في الرواية، التي تقوم بتقديم نفسها وتقديم غيرها، كما تُقدّم من خلال غيرها من خلال تقنية تعدد الأصوات. إذ يتمتع الراوي/ الشخصية باهتمام كبير من قبل الكاتبة، فهو رأس العقدة أو الأداة المسيطرة على الرواية لكونه الشخصية الأولى والفاعلة فيها، لاسيما أن الراوي/ الشخصية يقوم بوظيفتين هما سرد الأحداث وتقديم الشخصيات من جهة، وكونه محور الرواية وموضوعها من جهة أخرى. فروايات الكاتبة عموماً تضم مفهوم البطل بوصفه الشخصية المحورية التي تتشابك حولها كل العلاقات، وهو في الغالب يكون رجلاً على الرغم من كونها كاتبة لا كاتب، وبالرغم من ذلك نجدها تصور عالم الرجل بدقة، لعلنا لا نبالغ إن قلنا أنها تفوق تصويرها لعالم المرأة، وتفوق تصوير الرجل له. وهو ما يبرز واضحاً وجلياً في روايتي (المحبوبات، والتشهي) (نادر، وسرمد، ويوسف) وبشكل أقل في (الولع) (مازن، ووالده مصعب).

وختم البحث بخاتمة تناولت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، تلتها قائمة بالمصادر والمراجع التي استند عليها البحث.

www.alefyaa.com
writers@azzaman.com
20-28 Dalling Road
Hammersmith
London
W6 0JB
UK